قصص القرآن

أصحاب الأخدود

قلم: أحمد بهجت ريشة: مصطفى حسين



دار الشروق

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ-١٩٨٨م
الطبعة الثانية
١٤٠٩هـ-١٩٨٩م
الطبعة الثالثة
١٤١٤هـ-١٩٩٣م
الطبعة الرابعة
١٤٢٢هـ-٢٠٠١م

أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكترونى: email: dar@shorouk.com

قصص القرآن

أصحاب الأخدود

قلم : أحمد بهجت		ريشة : مصطفى حسين

دار الشروق

الفارسُ مثل سهمٍ من البرقِ .

راحَ يلهبُ ظهرَ حِصانِه بالسَّوطِ ليَستحثّه على الجَريِ ، وكان الحصانُ يَجري بأَقصى طاقَتِه ، وآنحدَر العرقُ على جسدِ الحِصانِ فَبلَّلَه ، ورغم ذلك فقد ظلّ يَجري في طريقهِ بين الجِبالِ والسُّهولِ ، مُستجيباً لأمرِ صاحِبِه . .

كان واضِحاً أن الفارسَ الذي يَضربُ حِصانَه يَحمِلُ سِراً خَطيراً لا يَحتمِلُ التأجيلَ . .

بعد رِحلةٍ شاقَّةٍ وصلَ الفارسُ إلى أَسوارِ المدينةِ . . وكانت الشمسُ تَنحدِرُ نحو الغُروبِ ، وآنتشَر اللونُ الورديُّ الأحمرُ في السحابِ وآنعكسَ على وجوهِ السّائرينَ في الطُّرُقاتِ .

ولم يُقلِّلِ الفارسُ من سُرعتهِ حين وصلَ إلى طُرقاتِ المدينةِ ، وأَفزعَ الناسَ في السوقِ بسببِ آندِفاعِه ، وأَوقعَ الحِصانُ في طريقهِ بعضَ أَقفاصِ الفاكهةِ لبائعٍ في السُّوقِ ، وصَرخَ البائعُ حَزيناً على فاكِهتِه التي تَحطَّمتْ تحت أقدامِ الحِصانِ . .

ورغمَ ذلك فقد مَضى الفارسُ يَشُقُّ طريقَه بنفسِ سُرعتِه حتى وصلَ إلى قصرِ الملكِ .

آستوقَفَه الحرسُ على بابِ القصرِ فأَخرجَ لهم خِطاباً من جيبِهِ وقال بِلهجةٍ آمِرَةٍ :

ـ معي خِطابٌ للمَلكِ . .

أَذِنوا له في الدُّخولِ ، فدخلَ الحديقةَ وترجَّلَ عن حِصانِه وآندفعَ مُسرِعاً حتى وصلَ إلى قاعةِ الانتِظارِ في قَصرِ الملكِ .

قابَلَه مُديرُ القَصرِ وسأَلَه ماذا يُريدُ .

قـالَ الفـارسُ : أُريـدُ رُؤيَـةَ الملكِ على الفورِ .

قالَ مُديرُ القصرِ : لكنّك تَبدو مُرهَقاً من رِحلتِـكَ ، ولعَلَّكَ لم تـأْكُـل منذ الصباحِ ، كما أن المَلكَ في آجتماعٍ هامٍ ولا أَستطيعُ إزعاجَه الآن ـ لماذا لا تَنتظِر ؟

قـال الفارسُ مُكشِّراً وقد بـدا عليـه الغضبُ : ليس مُهمّـاً أن أَستـريـحَ أو آكُـلَ ، إن الـرِّسـالـةَ التي أَحمِلُهـا لا تَستـطيـعُ الانتـظارَ . يجبُ أَن أرى الملكَ على الفـورِ . . قُلْ للمَلكِ إن رَسولاً من نجرانَ يحمـلُ أَخباراً هـامةً ويُريدُ أن يراكَ .

ذهب مُديرُ القصـرِ إلى الملكِ وعادَ بعد ثوانٍ قليلةٍ إلى الفـارسِ وهويقـولُ له : يَنتظِرُكَ الملكُ في قـاعةِ العـرشِ الآن . . تَفضّل معي . .

سارَ مديرُ القصرِ وسـار الفارسُ معـه حتى وصـلا إلى قاعـةِ العرشِ فتـأَخَّـر مديرُ القصرِ ودخلَ الفارسُ .

آنحنَى الفـارسُ للملِكِ وأَخـرجَ من جَيبِهِ رِسالةً قدَّمَها إليه وهـو صامتٌ . .

فتـحَ الملكُ الـرِّسـالـةَ وقـرأَهـا فَتغيـرَ وَجهُـه . . ظهرتْ عليـهِ عَـلامـاتُ الغضبِ ، مـزَّقَ الرسـالةَ وأَلقـاها على الأرضِ . . نهضَ من كُـرسيِّ العرشِ وآتجـهَ نَحو الفـارسِ وقال لـه : هـذه أَخبـارٌ سيئـةٌ . . حـدِّثْني عنـهـا بالتَّفصيلِ .

قال الفارسُ : دخلَ الدينُ الجـديدُ

إلى نجرانَ .

قـال الملكُ : كيفَ يَـدخُـل الـدينُ الجـديـدُ بغيــر إذنٍ مني ؟ هـذا غــزوٌ لِنَجـرانَ . . أكملْ حَـديثَـكَ ، من هـو صاحبُ هذا الدّينِ الجديدِ ؟

قـال الفارسُ : يقـولونَ إن صـاحبَه نبيٌّ يُسمونَّه عيسَى المَسيح . .

سأَله الملكُ . . ما الذي يَدعو إليـه الدينُ الجديدُ ؟

قــال الــفــارسُ : يَــدعــو إلــى الإيمانِ باللهِ وتَوحيدِه .

قـال الملكُ : من الـذي دخــلَ في الدينِ الجَديدِ ؟

أَجابَ الفارسُ : دخلَ الوَثنيُّـونَ في الدينِ الجديدِ وآمنوا بـالله ، ودخلَ فيـه بعضُ اليهودِ وآمنوا بـالله ، وهناكَ فِتنةٌ بين اليهودِ .

سـأَلَ الملكُ أَخيـراً ، وهــو يَحني رأْسَه ويُفكِّر : حـدِّثني كيف دخلَ هـذا الدينُ الجديـدُ إلى نَجرانَ . . حـدِّثني عن المسؤولِ عن تَسلُّلِه .

قال الفارسُ : تسلّلَ هذا الدينُ عن طريقِ غُلامٍ مُؤمنٍ وجدَه سادتُه الوثنيُّونَ لا يُصلِّي للنَّخلةِ التي يَعبُدونَها . .

سأَلوهُ : لمن تُصلِّي إذن ؟

قال الصبيُّ المُؤمنُ : أُصلي لله . . خالق النخلِ وخالق كُلِّ شيءٍ .

قـال الـوثنيــونَ (الـذينَ يَعبُــدونَ غيــرَ الله) : لكنَّ هـذه النخلةَ تَنفعُنــا وتَمنعُ عنا السوءَ .

ضحـكَ الصبيُّ سـاخِـراً وقـال : لا تُصدِّقوا ذلك . . النخلةُ لا تَستطيـعُ أن تنفـعَ أَو تضرَّ بـل إنها لا تستـطِيـعُ دفـعَ

السوءِ عن نَفسِها . . لو صلَّيتَ لله لكيْ تَحتـرقَ النخلةُ فـآحتـرقتْ . . هـل تَتَّبعونَ دينَ المسيحِ وتُؤمنونَ بالله ؟

قالوا : نعم . .

وجـاءَ الليـلُ على الـصبيِّ وهـو يُصلِّي . . كـان يُصلِّي ويَـدعـو . . وتَجمَّعتْ في السمـاءِ سُحبٌ كثيفـةٌ وآشتدَّتْ حركةُ الرِّياحِ . وآكفهرَّ الجوُّ وتغيَّرَ . . وبَرقَ البَرقُ وآرتجَّتِ الأرضُ بصـوتِ الرّعـدِ . . وهَوتْ صـاعِقةٌ من السماءِ على النَّخلةِ فآحترقَتْ ، وشاهدَ الناسُ جَميعاً مَعبودَهُم وهو يَحتـرقُ ولا يَستـطيـعُ أن يـدفـعَ عن نفسِـه النـارَ أو يُطفِيءَ الحريقَ .

ودَخلوا في الإيمانِ بالله . .

آستمَـع الملكُ صامِتـاً عـابِسـاً لِمَـا يَقـولُـه الفـارسُ . . آنتهَى من كـلامِـه فَصـرفَهُ . . لَم يكـدِ الفـارسُ يَنصـرِفُ حتى أمَـرَ الملكُ أن يَجتمِـعَ مجـلسُ الوُزراءِ وقادةُ الجيشِ . .

آجتمـعَ الجميـعُ وجَلسـوا صـامِتينَ وتحدَّثَ الملكُ .

قـال : أُريـدُ أن يستعِـدَّ الجيـشُ لِلحـربِ . . سنُهاجِمُ نَجـرانَ . . لقـد آمنَ الناسُ فيها بدينٍ غير ديننا . . آمنوا بـإلهٍ واحـدٍ بشَّر بـه نبيٌّ جـديـدٌ آسمُـه المسيـحُ . . يجب أن نُؤدِّب الـذيـن هَجروا دِينَنا . .

وسوفَ يكونُ تأديبُهم حاسِماً . .

آنفضَّ الاجتِمـاعُ وآنصـرفَ كـل واحـدٍ إلى عملِه . . ودخـلَ الملكُ غُرفتَه وراحَ يشربُ الخمرَ . .

كان الملكُ يَهودِياً قَسا قلبُه وخَلا من الإيمانِ والرَّحمـةِ ، كان يَهـودِياً آبتعدَ

عن تعـاليمِ مـوسَى إلى شيءٍ يُشبِـه الوَثنيةَ . . ولو أنه كان يَهوديـاً يُؤمنُ بالله لَمـا كـرِهَ أن يكـونَ هنـاكَ مَسيحيُّـونَ يُؤمنونَ بالله . .

بعد أيامٍ تحرّكَ الجيشُ . .

كـانت خُـطَّةُ الملكِ أن يُحـاصِـرَ المـدينـةَ حتى يَستسلِمَ أهلُهـا ، ثم يَضعُهُم أمامَ أمرٍ من آثنينِ .

إمـا أَن يَعودوا إلى دِيـانتِـه بكـلِّ مـا تَنـطوي عليـه من شَـوائبَ وَثنيـةٍ . . أو يَقتُلُهم بنارِ الحريقِ . .

كـان قـرارُه الـظالمُ يعني تَخييـرَ المُؤمنينَ بين الإيمانِ والموتِ حَـرقاً أو الكُفـرِ والنجّاةِ . . وكـان معنَى تَخييرِه أنه يُخيِّرُ المُؤمنينَ بين الموتِ حَرقـاً في الدُّنيا ، والنَّجاةِ من حريقِ الآخـرةِ ، أو النَّجـاةِ في الـدُّنيـا والهـلاكِ في حـريقِ الآخرةِ . .

وكـان الملكُ يـظنُّ أنـه سَيُخيفُ المؤمنينَ بتهديدِه وجَيشهِ . .

وصلَ الملكُ إلى نجرانَ وحاصَرهـا بجيشِـهِ الهـائـلِ ، وقـاتـلَ أهلَهـا بشجـاعةٍ ، ولكنَّهم كـانوا عَـدداً قَليـلاً يفتقـرُ إلى الـمُعـداتِ والسِّـلاحِ ، وآنهـزمـوا ، فـدخـلَ الملكُ المـدينـةَ وأَحضَـر المُؤمنينَ وأَوقفَهُم أَمـامَـه وهم مُكبَّلونَ في السَّـلاسِل والقُيـودِ وقال :

عُودوا إلى دينِنا وإلا قَتلتُكُم جَميعـاً . .

وتكلَّمَ الغُلامُ المؤمنُ . .

قال : نحن نَدعوكَ إلى الإيمانِ بالله أَيها الملكُ .

قال الملكُ : سأَحـرِقُكُم بالنـارِ بعد صلبِكُم إذا لم تَعـودوا إلى دِيـانتِكُـم السابِقةِ . . أَنتم مُتَّهـمونَ بالخيانةِ العُـظمَى . . إن آختيـارَ دينٍ آخـر

غيـر دينِنـا يـعني الخِيانةُ . . وهي خِيانةٌ سوفَ تَدفعونَ ثَمنها عَذاباً هائِلاً .

قال الغُلامُ المؤمنُ : لن نَخـرجَ من الإيمانِ باللهِ مهما تَعذِّبنا .

أَمـر الملكُ جُنـودَه بحفـرِ أُخـدودٍ هـائـلٍ في الأرضِ . . تَـمَّ حـفـرُ الأُخـدودِ . . فـأَمـرَ الملكُ أن يَمـلأوا الأُخـدودَ بـالـحـطـبِ الـجـافّ . . مَلأوهُ . . أَمر الملكُ أن يُبلِّلوا الحـطبَ بالزيتِ فَفعلوا . . أَمر بعد ذلـك بتقييدِ المُؤمنينَ وراحَ يَضـعُهـم في الأُخـدودِ واحـداً بعـد الآخـر . . حتى آمتـلأَ الأُخدودُ بالمؤمنينَ . .

قال الملكُ الوثنيُّ لِلمؤمنينَ :

أَمامَكُم فُـرصـةٌ أَخيرةٌ لِلعـودةِ في دينِنا . . إذا رَفضتُم أَمرتُ بإشعالِ النارِ في الحطبِ . . ماذا تَقولون ؟

لم يقُلِ المُؤمنونَ شَيئاً . . كان حفـرُ الأُخـدودِ بمثـابَـةِ طَعنـةِ خـوفٍ نـافـذةٍ مُوجَّهةٍ نحو القلبِ . .

وطِـوالَ الفترةِ التي آستغـرقَها حفـرُ الأُخـدودِ كانت الشَّـائعـاتُ تَـتـطـايـرُ ، وكان مُجرّدُ آشتغالِ الجُنودِ في الحفـرِ عَمـلاً مُـرهِبـاً بحَقّ . كـانت النـاسُ لا تسأَلُ أبداً .

ــ لماذا يَحفِرُ الجنودُ هذا الأُخـدودَ العظيمَ ؟

كان السؤالُ مُمتنِعاً وكـانت الإجابـةُ مَعروفةً . .

هنا سوف يُحرَقُ المُؤمنونَ أَحياءً .

ما هو ذَنبُهُم لِيُحرَقوا أَحيـاءً ؟ ما هي الجَريمةُ التي آرتكَبـوها لِيقَـع لهم هذا العِقابُ الأَليم ؟

إنهم يُؤمنونَ بالله . . هـذا هـو كـلُّ ذَنبِهم . . وهذه هي كلُّ جَريمتِهِم . .

كان هذا كلُّه مَعروفاً . . وكـان حَفرُ الأخـدودِ هـو الـرمزَ النِّهـائيَّ لِلظلمِ والطُّغيانِ . .

كانت كلُّ فـأسٍ تَرتفـعُ لِتهوي على الأرضِ تَـرفـعُ معهـا هـذه الفِكـرةَ الظَّالمةَ .

فـكـرةُ طُـغـيـانِ الـطُّغـاةِ عـلى المُؤمنينَ . .

سكتَ المُؤمِنونَ ولم يَقولوا شَيئاً . .

رنَّ في أذهـانِهِم تَهـديـدُ الـملكِ الوثنيِّ الظَّالمِ ، كان يُهدِّدُهم بالحَريقِ إذا لم يَعـودوا في مِلَّتِه الكـافِرة . . وآختـارَ المُؤمنونَ الحـريقَ . . آختاروا الشَّهادةَ في سبيلِ الله . .

وفهِم الملكُ آختيارَهُم فأمرَ بإشعالِ النارِ في الأُخدودِ . .

أَصبـحَ الـمُـؤمـنـونَ الآن وسطَ الأُخـدودِ ، وقـد قُيِّـدوا في الحبالِ وَسلاسل الحديدِ . .

وآشـتعـلت الـنـارُ وسطَ الأُخـدودِ وراحتْ تَتـنقَّـلُ إلى أَطـرافِـه حتـى آشتعلتْ فيه كلّه . .

وَوقفتِ القُوةُ الكافـرةُ تَشهدُ عـذابَ المُؤمنينَ . . حين بـدأَت النارُ تَشتعـلُ في المؤمنـينَ وقـعت أُمـورٌ كـثيـرةٌ ، تصـايـحَ الكـافِـرونَ وهلَّلوا ، وسـادَ المُؤمنينَ سـلامٌ قلبيٌّ عجيبٌ . . أَكلتِ النـارُ مَلابِسَهُم وأَكلتْ جُلودَهُم ومضتْ تَحـرِقُ أَجسـادَهُم ، ولكنّهم آحتَملوا العَـذابَ في صمتٍ ورضا . . وتَحـوَّلَ كـلُّ مؤمنٍ مـن المُـؤمنـينَ إلـى شُعـلةٍ مُحترِقةٍ تُضيءُ وسطَ ظلامِ الحياةِ . .

آنصرفَ الملكُ من أَمام الأُخدودِ بعد أَن تأكَّد أن المُؤمنينَ قد آحترقُوا . .

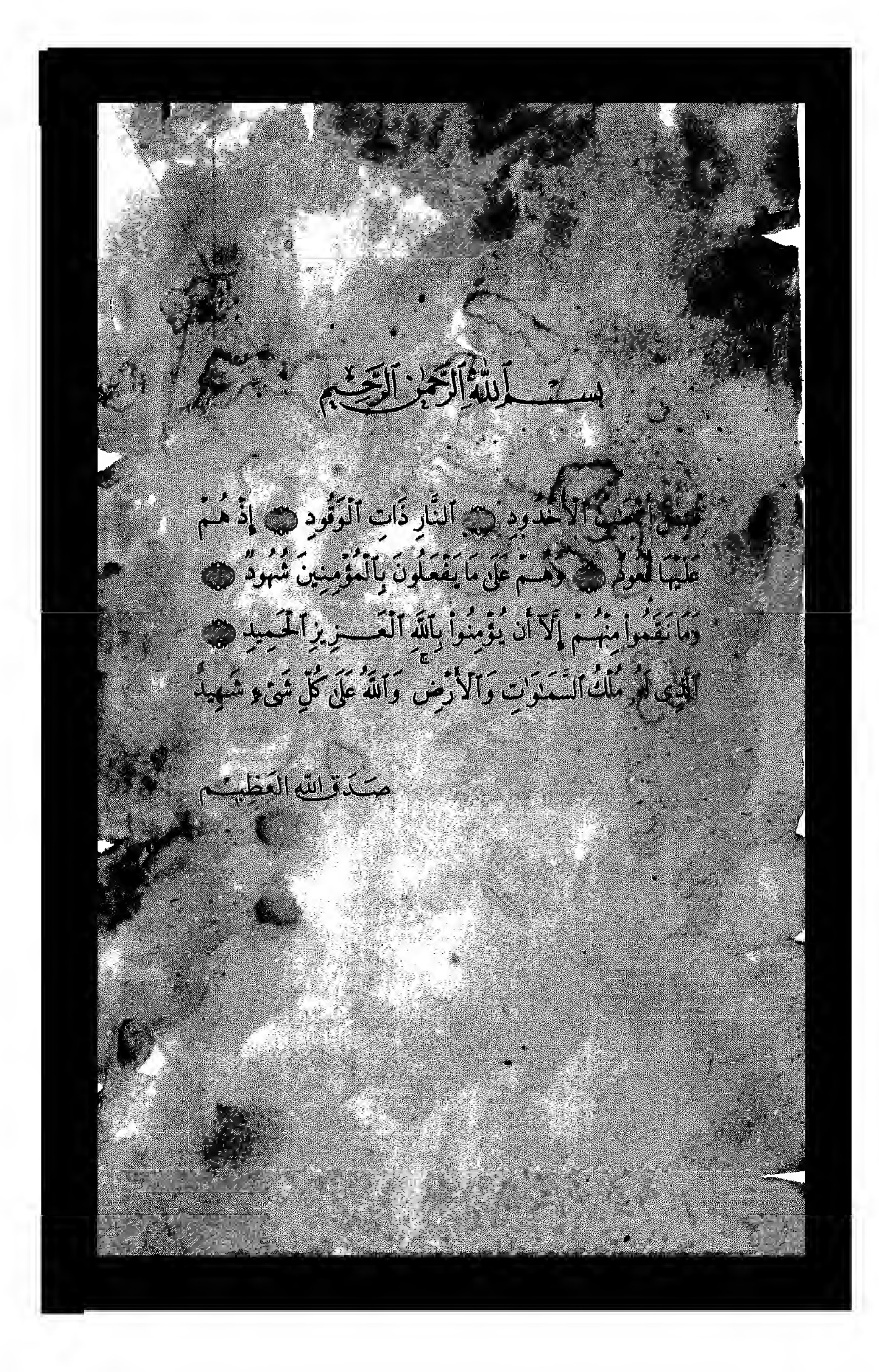
كان صَدرُه يَغلي بالحِقدِ عليهِم . . ولم يكنْ يَنقُم منهم إلا إيمانهم بالله العزيزِ الحميدِ . . كان الملكُ سَعيداً لأنه دمَّرهُم ، وآعتبرَ أنه آنتصرَ لِكبريائِه وآلِهتِه وأَرضاها . .

ومرت أيامٌ قليلةٌ ، وسقطَ الملكُ مَريضاً لغيرِ سببٍ واضحٍ . . زارهُ الأطباءُ من جميعِ أَنحاءِ المملكةِ لِعلاجِهِ ، وفَشلوا في عِلاجِه ، وآستدعَى أَطباءُ المَمالِك المُجاورةِ ، فلم يَعرِفوا سرَّ مرضِه ، وفَشلُوا في عِلاجِه ، وقُدِّمتِ القرابينُ للآلِهةِ الوثنيةِ ، وراحَ الكهنةُ يَسألونَ هذه الأوثانَ شِفاءَ الملكِ ، كان الملكُ يَتعذَّبُ عَذاباً هائِلاً . . لم يكن يَستطيعُ أَن ينامَ من فرطِ الآلامِ التي يَحسُّها في جسدِه كلِّهِ . .

كان يَصرخُ في قصرِه فَيفزعُ الأطفالُ النائمونَ في مَدينتِهِ من هولِ صَرختِهِ . . كان يرى مَشهداً واحداً أمامَ عينيهِ : آبتساماتِ المؤمنينَ وهم يَحترقونَ في الأُخدودِ . .

وكانتْ هذه الابتساماتُ تملأُ جَسدَهُ كلَّهُ بوجعِ الحريقِ وآلامِهِ ، ومضتْ حالةُ الملكِ تَسوءُ ، وكان الوجعُ يَدفعُه إلى القَفزِ من فِراشِهِ ومُحاولةِ تَحطيمِ رأْسِه في الحائطِ . . وآضطرَّ وُزراءُ الملكِ إلى سجنِهِ داخلَ غُرفةٍ مُبطَّنةِ الحَوائط . .

وبعد سنينَ من العذابِ الأليمِ ماتَ الملكُ . . ولم يكن موتُه راحةً له . . فقد عادَ إلى الله حيثُ يبدأُ عذابُه بنارِ الجحيمِ .


بسم الله الرحمن الرحيم
قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ
عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝
وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝
ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ
صدق الله العظيم